مغالاة الأدباء في كتابة

مقدمات الكتب

تمهيد

من يطالع الكتب التي يكتبها أدباء الشباب يجدها مصدرة بمقدمات تلفت النظر ، لا في خروجها عن المألوف في مقدمات الكتب السابقة لعصرنا الحاضر، ولا في التزام أساليب الغربيين ومحاكاتهم في تقديم الكاتب وتعريف مضمون مؤلفه ، بل لظاهرة المغالاة العجيبة وعدم الصدق في القول الذي لا ينطبق ، لا على الكتاب ولا على كاتبه

والذي يسترعي انتباه الناقد في هذه المقدمات أنها مكتوبة بأقلام طائفة محصورة العدد ، محدودة الغاية ، مبيتة أغراضها على أيهام الناس بأن بين أفرادها ترابطا وتساندا ، وأنها مغمورة في مواهبها وكفاءاتها ونبوغها

كان بود الناقد الذي يتبين النتائج من المقدمات ، أن يكون تضامن الأدباء حقيقة لا وهما ، وأن يكون تضافرهم مدعاة الى تقربهم من القراء والاتصال بهم ، والتمكن من أذهانهم التي استولى عليها أدباء الشيوخ وأحاطوها بحواجز وأسوار حتى لا تفلت منهم أو تتحول الى سواهم

كان بود الناقد لو يشق أدباء الشباب طريقهم الى ميدان الفكر والحياة وهم مزودون بجميع خصائص الاديب التي يرمي بها الى زحزحة خصمه عن أريكته ليتربع هو عليها ، ويتبوأ عرشها ، ويسود ملكها بالقوى المستمدة من كنوز ثقافته

كان بود الناقد لو يسلك هؤلاء الأدباء الطرق المؤدية إلى تحقيق أحلامهم ومطامحهم ، والظهور بمظهر الرجل القدير المدرك لروح العصر وتطورات الامم والملم بالحركات الفكرية والتقدم الاجتماعي والأدبي والعارف أطوارها كلها . ولكن ما بالك وقد تشبثوا بالمقدمات وتركوا النتائج ، واكتفوا بالهوامش وأهملوا المتون ؟!

ما بالك ، وقد توهموا في تقارض المديح ، وتبادل الثناء ، والاشادة بالفضائل ، وتعداد المواهب ، وإسباغ النعوت والالقاب مايغني عن الخصائص الجوهرية التي لابد للاديب منها . ما بالك بهم وقد توهموا اعتباطا ، أن مقدمات الكتب وحشوها بما لا يحصى من أوصاف النبوغ والعبقرية تكفي للهيمنة على عقول القراء واجتذابها اليهم وتحويلها عن قراءة كتب أدباء الشيوخ المعروفين ؟

لو كانت الأوصاف والمزايا والنعوت التي يسبغها الواحد على الآخر من هؤلاء المؤلفين صادقة صحيحة ، لهان الأمر

وكان لهم ما يبرر تمادحهم وتقارظهم، إنما تأخذك الدهشة حين لا تجد في متن الكتاب نبوغا ولا عبقرية ولا شيئا مما قالوه في المقدمة، بل يخيل اليك انك ترى جسم قزم يتدثر جلباب عملاق فيغلبك الضحك والهزء والسخرية !

هذه المظاهر الغريبة، جديرة بالدرس والتحليل لأنها توضح لنا مدى عقليات الشبان الذين يتوهمون أن الأدب يؤخذ بالمغالبة والتآمر والصياح، وبالهيمنة والاستهواء أيضا!! ولكن هل تروج هذه السلع في أسواق الادب الحديث القائم على التعمق في التحليل والنقد ؟ وهل تجوز الالاعيب على العقول وقد استنارت واهتدت بهدي العلوم والآداب في نهضتها الحديثة ؟

اللهم كلا ، لأني أعتقد أن الالاعيب الادبية لم تعد تنطلي ألبتة على عقول القراء ، وقد أخذوا يوازنون بين أديب صادق الرسالة، وبين كاتب يحترف الادب للارتزاق وكسب العيش فقط

ليس يعنينا أن يكون بين أدباء الشباب من يعالج الادب للادب ، أو من يحاول خوض عباب الحياة حبًا في الفن ، أو أن يكون فيهم المحترف والمغامر والافاقي ، بقدر ما تعنينا سلامة نهضتنا من الزغل والزيف ، وتطهيرها من شوائب التمويه

الكاذب ، والطلاء الخداع ، وبقدر ما نحرص على أن يكون أدباء الشباب أول الثائرين على ظاهرات الترقيع في الفن والادب ، وأن تكون معاولهم وحدها الهدامة لاكاذيب المغالاة في تعريف شخصية الاديب والمحطمة المديح وتقارض الثناء ، فانها إن أسندت واحدهم مرة كما تسند العكاكيز الاعرج،فلن تقوى على العرج نفسه الذي يداري بالعكاكيز ولا يداوي بها

هذا ما نتمناه لأدباء الشباب ونحن نهيب بهم الاقلاع عن هذه الظاهرة الخطرة والتي نحاول عرض نماذج منها .

الدكتور ابراهيم ناجي

اسمع ما يقوله الدكتور ابراهيم ناجي في صديقه الدكتور احمد زكي أبي شادي :

« أما الرجل فهو شعلة حقا ، هو نور ونار ، هو قبس حي ، هو شعاع طواف متميز بالقلق، منفرد بالهداية ،ضارب في مجاهل الليل ، مترام فوق عباب جياش مترام ! هو ألق يقتحم الظلمة ويبددها ويغشاها ولكنه يرهب أطيافها ويخشاها ، هو عين جواسة مجهرة ترمي العالم بالنظرة الرحيمة الواسعة ، ثم تعود مغمضة جفنيها على دمعة تترقرق فيها ،

وحسرة تذوب في محاجرها ، هو فيض من سلام وحنان وصنح ينحدر من نبع قوي صاف فيصطدم بالبغضاء والقسوة والغل فيقف حائراً عائراً متلفتاً هنا وهناك حزيناً ثم يسترد قوته ويعاوده إيمانه المتين فيعلو ويعب ثم يتدفق جباراً مكتسحاً ... ! هذا أبو شادي في كلمتين »

أحسب أنه فات الدكتور ناجي أن يقول كلمة منظومة في شاعره الدكتور أبي شادي، ويخيل إليّ أن لو ألهمه شيطانه وواتته ملكة الشعر آنذاك لقال فيه مرتجلاً

أنت نجم أنت بدر أنت شمس أنت نور

إن العناية التي ألجمت ناجي عن النظم وأنقذت القارىء من رخيص الكلام وفطير المديح ، شاءت إرادتها الهوجاء أن تدفع به الى قذف الناس بجمل لفظية يسددها الى مواطن أذواقهم وأحاسيسهم لا تنطوي على معنى ولا تفيد شيئاً البتة .

حقاً اني لم أفهم ماذا يعني ناجي بقوله في صاحبه إنه شعلة حقاً ، وهو نور ونار ، وهو قبس حي ، هو شعاع طواف متميز بالقلق ، منفرد بالهداية ، ضارب في مجاهل الليل الى آخر الانشودة التي لا أظن أن كلامها واناه سهلا رهواً ، بل أعتقد أنه تعمله تعملا ظاهر

التزيين والتجويد ، فهل لك أن تدلني أيها القارىء على المعنى الذي رمى اليه الدكتور، أو أنك تتخيل معي أن ناجي نفسه لا يعرف معنى لهذا الكلام الزئبقي القزحي ؟

ما قيمة هذا الكلام اللفظي إذا ترجم إلى لغة أجنبية ، بل ما معناه فى لغتنا العربية ؟

يحدثنا ناجي عن شاعر، ويقدمه للقارىء على اعتبار أنه

نور ونار وقبس حي وشعاع طواف ، فهل في ذلك دلالة على شخصية الشاعر وطابعه ؟

هَب أن لهذا التعريف « النوري » معاني تدق على أفهام الناس ، وتستعصي على أذهان غير الشعراء ، فما هو الدليل الذي لا يبور ، والحجة التي لا تدحض بان الشاعر أبا شادي نور من مصباح ، ونار من موقد ، وقبس من مشكاة وشعاع طواف متميز بالقلق والرجفة العصبية ؟ !

يدهشني من الدكتور ناجي ، وهو الشاعر السمح والقصصي البارع ، والمحدث اللبق ، كيف استعبد نفسه للفظ ولم يتنزه عن التلفيق الغث ، وهو الضارب بسهم في الادب الغربي ، المشهر سلاحا في وجه الادب العربي ، الداعية إلى التجديد ، كيف أجاز لقلمه أن يخط جملا ، لا إخاله يستطيع تفسيرها ولو تدرع بكافة ضروب الاستعارة والمجاز ، والكناية والتشبيه والرمز والتلميح ، واشتات الجناس والطباق والتفويف التي يستعين بها الشعراء أقرانه على رسم تخيلاتهم وتصوير أحاسيسهم !!

يقول ناجي ان أحدث الآراء في تعريف الشعر « انه كلمات تعبر عما لا تستطيع الكلمات المألوفة أن تعبر عنه » فهل كلمات النور والنار والقبس والشعاع هي التعريف

غير المألوف لشاعرية أبي شادي غير المألوفة ، أو أنها كلمات مبهمة تمثل هذا الشاعر المبهم ؟!!

عز على ناجي أن يكتفي بالنار والشعلة لصاحبه منشيء مجلة أبولو ووارث المدرسة الحديثة عن مطران (كما يدعي) والناطق الآن بلسانها ، والتي له فيها تلامذة ذكر أسماءهم ، عز عليه أن لا يكون لأبي شادي وجماعته طابع معروف ، وشخصية واضحة ، فراح يتسقط الشخصيات والطوابع ، يتلمس تعريفاً لها ووصفاً لمعنوياتها ، فتسعده مطالعته الادبية بقطعة كتبها « ليجوي » عن أدباء الانجليز الحديثين ، قال فيهم « انهم يتميزون بالرشاقة والايمان ، وأحيانا بالابتكار وغالباً بالصراحة التي تمزق كل المظاهر الخادعة التي تبرقع أوجه التقاليد ، ونجد إحساسهم بالواقع ممتزجا بالظرف والحنان ، وفي شعرهم استسلام دائم ومرارة وميل للرجوع بالروح إلى مواطن الذكريات الغالية »

التقط ناجي هذا التعريف التقاطا ، وألصقه بجماعة أبولو إلصاقا ، فجاء كالرقعة الجديدة في ثوب خلق مهلهل ، ولو طولب ناجي بدليل على رشاقة أبي شادي : هل كان اقتبس منه قوله « أشرق الصبح فى هدوء عميق » أو قوله .

دمعي مدام بترفلاي دمي مدام بترفلاي ؟

هل ترى فى هذا الاستهلال رشاقة فى انشاء جو ابتدعه أبو شادي لنفسه ولسامعيه وقارئيه ، وابتكاراً في تهيئة بيئة شعرية أخرجته معهم من طور الحياة المادي وارتفعت بهم إلى جو آخر فيه كل عواطف الحنان والحب حين يقول

دمعي مدام بترفلاي دمي مدام بترفلاي

هل ترى فى دمع أبي شادي ودمه الادلة والبراهين المقنعة على قوة ابتكاره وابتداعه حين يقول « أشرق الصبح فى هدوء عميق » ؟ !!

وهل إذا أراد ناجي أن ينهض حجة على «الصراحة التي تمزق كل المظاهر الخادعة التي تبرقع أوجه التقاليد » أتراه يدلنا على عشرات الصور لنسوة عاريات منثورة فى دواوين هذا الشاعر المبتكر ، خصوصا صورة (ينبوع المرأة) ، أو تراه يتحفنا بوصف فتاة نزلت مع أترابها يغتسلن فى البحر فيخاطب هذا الشاعر موضعاً معلوما فى جسمها يسميه « النبع » فيقول

يا بنت أفروديت لا تتهيبي
وخذي الحياة مجال كل حبور
وتخطري ظلا لنا وأشعة
ما كنّ غير عواطف وشعور

نهداك أم ساقاك ما نطقا سوى
بالشعر في لغة من التصوير
من ذا يحجب (نبعك) الحر الذي
وهبته أفروديت للتقدير
وهبته كي يحيا ويعبد بيننا
جسما وروحا في مثال الحور
أينوقك البحر الطروب مقبلا
ومعانقا في وصله المبرور
ونظل نحن العابدين على أسى
ما بين حرمان ويأس صخور ؟؟

يجد ناجي أن أحساس أبي شادي بالواقع يمتزج بالظرف والحنان، وأن في شعره استسلاما دائما ومرارة وميلا للرجوع بالروح الى مواطن الذكريات الغالية. فهل معنى هذا أن ميله الروحي هو في الرجوع الى « الينبوع » يناجيه كما يناجيه اليزيدي الهمجي ويتلمس نداه ويتذوقه فيقول فيه :

يلوح (نداه) بالاشراق لطفاً
كروح الفجر في جسم الاصيل ؟؟

فما هو (الندى) في (الينبوع) ؟ وأين يستقر ؟

لست من المتحاملين على الادب المكشوف ، ولا من

الكارهين الغاية من النزعة «اللورانسية» إنما أفضل الشعر الرمزي في مثل هذه المواقف لانه أبلغ من الشعر الموضوعي وأعمق ، ولست إخال شاعراً يستملح الهبوط من علياء الشاعرية الروحية التي تتساوى ومراتب الالوهية الى حضيض المادة ليكلمها بهمسات الروح وهي لا تفقه الا الحس المادي البعيد عن الروح، فان فعل شاعر ذلك وحاول مزج الاحساس الروحي الشفاف بالواقع المادي الجلف فانما يكون من نمط الشاعر النكس المقصر حتى في تصوير الأشياء المادية بصور من الخيال الجميل

لم يكتف ناجي بما قاله جزافا في شاعره ، ولم تقنعه المغالاة التي توهم أن في دخانها الكثيف مايغني عن عبق البخور العطر ، وأن في أباطيلها مايسيطر على العقول ، فراح يخترع بدعة ظريفة، وهي أن أبا شادي ليس « برومانطيق »ولا شعره من النوع الواقعي ولا «الكلاسيكي» بل هو شيء قائم بذاته «وأنه بلا شك من مدرسة الصوريين الذين تتألف مواد فنهم من حقائق الحياة ،من صور مجتمعة ، وكتل متماسكة ... » « وان له قريناً من شعراء الانجليز هو الشاعر والتر دلامار» ! ! !

ولناجي في شاعره أقوال طريفة كلها من هذا النوع ، إمعان في المغالاة ، تطرية فى الامتداح ، إسراف في التقدير ، عجز عن الاستشهاد والتدليل والاقناع والاقتناع ، ولعل أبرع

طرائفه مخاطبته إياه قائلا « مسكين أنت أيها الصديق ، أشفاك تعلقك بالمثل الاعلى ... ولكنك تذكر أنك سابق زمنك ... »

حقاً لا أدري إذا كان أبو شادي سابقاً لزمانه أو متأخراً عنه ، وأجهل أن المديح يجعله يتعثر خجلا كما يدعي ، إنما أعرف أنه لا يطبع ديواناً يخلو من تصدير ومقدمة أو مقدمتين ، ومؤخرات ودراسات ، وكلمة ختامية لكتّاب أو شعراء استكتبهم دراستهم أو استأجرهم على كتابتها وتقدم أجرها ، فهل في هذا ما يدل على أنه يتعثر خجلا بالمديح ؟!

لا تضحكوني بالمديح فانني
متعثر خجلا على امداحي ؟
بل فانعتوني بالجنون لأنني
آمنت بالاخلاق والأرواح
ونسيت أني سابق زمني وما
زمني بدنيا اللؤم والاشباح

سيان عندي قوله إنه يضحك من المديح وإنه يتعثر خجلا به لأن العبرة ليست في الكذب ، ولا في استجداء المديح ، ولا في تضليل القراء والتغرير بهم ، ولا في الادعاء الباطل ، ولا في افتعال هالات المجد ، ولا في تفضيل نعت الناس له

بالجنون ، إنما العبرة في إدراك الناس مزايا الرجل وصفاته ، وليس كالناس قضاة نزهاء وحكام عادلون على الاديب أو له .

ابراهيم المصري

لم أقرأ فيما قرأت لكتاب مقدمات الكتب ما هو أبرع وألبق مما كتبه ابراهيم المصري في ديوان « أطياف الربيع » ولم ترسخ في نفسي نظريتي فيه وتسميتي اياه (بالكرديتال) مثل رسوخها فيه غب تلاوتي الدراسة التي كتبها في « شاعرية أبي شادي »

كتب ابراهيم ثماني عشرة صفحة من القطع الكبير في « شاعرية أبي شادي » تكلم فيها عن الشاعرية عند كل انسان وعن الفوارق بين الشاعر والانسان العادي ، وعن العيّ الذي يعجز البعض عن اظهار شعورهم ، وعن المزية في المقدرة على التعبير عنها بحرية عند البعض الآخر ، وتكلم عن الشاعر العبقري الذي يحقق المثل العليا وعن الشاعرين العادي والمتوسط اللذين يحقق كل منهما ناحية من إنسانيته التي يختلف فيها بفكره وشعوره وشخصيته عن سواه من الناس . وقال في تعليل ذلك « إن لكل منا عالمه الخاص وصورته الخاصة عن هذه الحياة فمتى

فرح وتألم ، وحاول التعبير عن هذا الفرح أو الألم فلا بد أن يكتسب تعبيره — سواء كان ضعيفاً أو قوياً — طابع نظراته المستقلة الى هذه الدنيا ، وتلك النظرة المستقلة هي غاية الشعر الفني على الاطلاق »

وتكلم كلاماً طيباً عن التخيل والاحساس وقوة الاداء التي تساعد الشاعر على إبراز ما خفي من غوامض شخصيته وعلى اثبات الطابع الفني المستقل والنظرة الحيوية المستقلة أيضاً ، وأهاب بالقراء داعياً اياهم الى حب الشعراء والاعجاب بهم مشترطا البحث عن عناصر الطرافة والغرابة والاستقلال فيهم ، حتى إذا ظفروا بها ولقوا بعضها في أحدهم قدروه لأجلها تقديراً يماثل قوة إحساسه وقوة تخيله وقوة أدائه . وقد اتخذ المصري من هذه البسائط قواعد لمذهب النقد يطبقها على الشعراء العاديين والمتوسطين كما يطبقها على شعر أبي شادي « النابغ » (كذا)

كان يخيل اليّ وأنا أقرأ هذا الكلام المفرغ في قوالب تشريعية ومواد قانونية تطبق على جميع الناس على قدم المساواة أنه سيتناول الدكتور أبا شادي بالدرس والتحليل ، متجنبا الاوصاف والنعوت والمزايا والخصال ، مبينا نوع العنصر الذي يتألف منه شعره والمادة التي تتركب منها شخصيته وطابعه ويتركه بعدها بين يدي محكمة الرأي العام تحكم له أو عليه وبذلك

وحده ينجو من الورطة التي جره أبوشادي اليها ويسلم من المداجاة التي توافق أدباء الشباب على اتخاذها اداة للتساند فيما بينهم والظهور بمظاهر العصبة المنظمة المتآزرة ، وإذا به ينحرف دفعة واحدة عن الجادة التي عبّدها ويهمل فجأة القوانين التي سنها للنقد ، فيكبو الكبوة الكبرى بوضعه شاعره في مصاف الشعراء النابغين ويفسد أحكام اخوانه ومريديه في نزاهة فكره وانطلاق حريته ، وقدرته على التخلص بلباقة وبراعة من أمثال هذه الورطات والتملص من مسئوليات الاحكام الأدبية

لو أن صفة (النبوغ) كانت الصفة الوحيدة التى أغدقها عليه لهان الامر وسهل السكوت ، ولكن الدكتور أباشادي في نظره « هو رجل الخيال ، وهو رجل الواقع ، هو روحاني صوفي ، وهو مادي شهواني ، هو عقل متأمل تجريدي ، وهو عقل رياضي علمي ، ينظم الشعر ويهتم بتربية الدواجن ، يفكر في القصيدة ويلاحظ خلية النحل ، يتطلع الى الجمال وراجع حسابات مجلاته ، يحدق في السماء اللامعة ويذهب الى معمله البكتريولوجى.... »!!

هل ابراهيم المصري مؤمن بما قاله في شاعرية أبي شادي ، وهل هو صادق في وصفه وما هي البواعث التي ابتعثته الى هذا الاسراف والغلو إذا كان غير مؤمن ؟

ابراهيم المصري لا يؤمن البتة بشاعرية أبي شادي ،

ولا يعترف له بمزية شعرية واحدة ، إنما تعمد اللغو المنمق تعمداً ، وتحمل السفسطة المنسجمة تحملا ، نكاية بأدباء يتساوى وأبا شادي في حسدهم ، والتشوف الى مكانتهم ، والتعاضد على محاربتهم ، ولو كنت أملك مجال الكلام لسايرت قلمي في تسطير أمور ، وإن كانت تلقي ضوءا على أسباب الخصومة الناشبة بين الادباء ، الا انها لا تنفع المتخاصمين في شيء ، وأكتفي بالقول إن ابراهيم المصري تحايل على أبي شادي تحايلا لبقا ، فربت له على كتفه ، وابتسم له ابتسامة (كردنالية) فيها من الالوان والمعاني مايجمع الاضداد كلها !! حتى معاني الهجاء والمديح أيضا؟!

زعم المصري أن في شعر صاحبه خصائص ، وأن عدد هذه الخصائص أربع ، من غير زيادة ولا نقصان ، ثم أخذ يعددها بدهاء ومكر ، ويظهر مزاياها ببراعة ورشاقة ، ويضرب الامثال ويأتي بالبراهين ، لا البراهين التي تثبت صحة أقواله وصدق أمثاله ، بل التي تسترعي انتباه القاري ، وإلفات نظره الى دخائل هذه الاقوال والامثال والبراهين !

زعم المصري أن أهم الخصائص التي يمتاز بها شعر صاحبه هو

(١) الاحساس بالفن والايمان بضرورته للعالم

(٢) الاحساس بالطبيعة والقدرة على رسم الالوان والظلال

(٣) الاحساس بالمرأة وحبها والاعجاب بها

(٤) الاحساس بجمال الجسد وعبادة هذا الجمال ! !

ثم جاء بعد هذه الاحاسيس الاربعة بأبيات مختارة من جيد شعر أبي شادي يوهمنا بانها جامعة للخصائص الممتازة التي ذكرها ، منها

يدي ! يدي لا تدعا خلود سعادتي تمضي
سماء الحب صافية ونائية عن الارض
ومن عرف (الالمب) كما عرفت وذاق نعماه
أبى كل الاباء فرا ق رب قد تولاه ! !

أعرفت أيها القاريء اللبيب لأي سبب رميت ابراهيم المصري بالدهاء والمكر ؟ رميته بهما ، لاني أومن كما تؤمن أنت معي ، بأن هذه الأبيات المصطفاة من بين مئات ومئات من الشعر هي فارغة من الاحساسات الاربعة التي ذكرها ، بل هي خاوية كاخواتها التي منها تتألف دواوين أبي شادي العشرون خواء القربة كثيرة الثقوب ، لا تضبط الماء ولا الهواء ، وأنه ما تخيرها مع ما تخير من الشعر المقتبس من الديوان إلا للتدليل على خلوها من العناصر الجوهرية التي يتألف الشعر منها ، وعلى عدم إنطباقها على الاحاسيس التى اعتبرها من خصائص شعره الممتازة ، وانه ما ساق هذه الامثلة إلا ليقول للقارىء ، ها قد

وضعت لك جريمة أبي شادي الشعرية في كفة الميزان ، فضع أنت العقاب لهذا المتشاعر

وكأني به أشفق على نفسه من قول الحق أولا ، وعلى صاحبه ثانياً أن يراه مجرداً عارياً من عناصر الشعر ، ومن هبات الشاعرية فقال قولة المجمجم المغمغم « اني لم أفترض خصائص لشعر صاحبي إلا لمجرد الافتراض التقديري ، أو الافتراض الموضوعي لا الذاتي كما يقول الشعراء ، واني لما قلت « أن الفن والطبيعة ، والمرأة ، والجسد ، والله هي وحي أبي شادي والينابيع التي تصدر عنها شاعريته » أردفتها بملاحظتي الاستدراكية وقلت « يجب ان نلاحظ ان شاعرنا لا يمر بهذه الادوار دوراً بعد دور بل يجتازها جميعاً بقفزة واحدة » اعتماداً على بداهة القاريء الذي يفهم ان القفزات الواسعة لشاعر كأبي شادي لا تدل على شيء من التفوق الذهني بل بالعكس فانها تدل على الحركة البطيئة أو المشلولة ! !

أحسب ان الحقيقة هي في ما سقته على لسان ابراهيم المصري لا في ما دونها على نفسه بقلمه ، واني أحاسبه على هذا الاعتبار وحده ، لان الكلمة المرنة اللينة القابلة للتأويل والتفسير التي قالها وهي ترضي أبا شادي ، وتوهم الناس انه يساهم في الخصومة الناشبة بين الادباء ، وانه ينصر أقرانه الشباب ظالمين ومظلومين ، هي التي

تجعلني أتسامح وأتغاضى عن محاسبته الحساب العسير الذي يتساوى وبراعته في النقد وذوقه الفني وتزعمه عصبة أدباء « المدرسة الحديثة » ودعوته الحارة الى التجدد ، والتمرد الفكري والتحرر من عبادة أدباء الشيوخ

حسن محمود   طاهر لاشين

لست أدري من الذي درب الاديب حسن محمود على الغلو ولا من لقحه بهذه الجراثيم المفسدة للذوق الهادمة للشخصية المضللة القراء ! !

لاأعلم من نقل اليه هذه العدوى الخبيثة وهو التلميذ النجيب للدكتور طه حسين ، والقارىء المدقق لمؤلفات كبار أدباء الانكليز والفرنسيس والروس وغيرهم ، والكاتب الرزين الذي لاتستهويه خزعبلات الشهرة وترهات ذيوع الصيت

هل الصداقة هي التي جعلته ينزلق في حمأة المغالاة ويتردى في وهادها ، أو هي أشياء أخرى طمست على ذهنه فدفعته بدون ترو ولا تدبر الى كتابة مقدمة لرواية (حواء بلا آدم) يقول في مؤلفها محمود طاهر لاشين مانصه بالحرف « لو أردنا تشبيهه بكاتب من كتاب الادب الاوربي لقلنا إنه أقرب الى « ديكنز » الكاتب

الانكليزي العظيم منه الى (ثيكري) الكاتب الفكاهي والعظيم أيضاً » .

المعلوم أن قصص طاهر لاشين محاولات موفقة في فن الاقصوصة وأنه ذاته يؤثر الفكاهه والنكتة يدخلهما قصصه للتحلية وله فيهما مجال واسع في مجالسه الخاصة المستحبة أما رواية «حواء بلا آدم» التي وضع لها الأديب حسن محمود المقدمة التي نحن بصددها هي الفشل بعينه بدليل أنه لما حاول الكلام عنها لقي مجال القول ضيقاً فراح ينقل وصفاً احصائياً لمحتويات غرفة أحد اشخاص الرواية فيها سرير من جريد النخل عليه مرتبة من قش الارز ، فوقها كتب وخبز ومرآة وعمامة ومنشفة مقطعة للوجه ولحاف ومخدة الى آخر ما هو مفروض وجوده فى غرفة رجل مسكين . والاديب حسن محمود يعرف أن مثل هذه الاوصاف الاحصائية لا قيمة لها البتة في فن الرواية ، إنما القيمة الحقيقية هي للحبكة الروائية وللغرض الذي وضعت الرواية من أجله ، والمقدرة على رسم الخطوط الرئيسية لشخصيات ومناظر الرواية ، وترك القارىء يفهم من نفسه جوانب الشخصيات والمناظر . ولكن ... ولكنه لما لم يجد شيئاً من ذلك يستحق الذكر في رواية طاهر لاشين الهزيلة عمد الى نقل الوصف هربا من الاصطدام بالحقيقة التي يعرفها حق المعرفة فكيف أجاز لنفسه هذا التحايل ؟ هل آثر خيانة الفن في سبيل

الصداقة ؟ هل توهم أن تشبيهه صديقه لاشين بكبار الروائيين كاف للاصعاد به الى الذروات التي بلغها أولئك العظام ؟

كيف سوغ لنفسه هذه الغواية وهو ليس بشاعر يهيم في أودية الخيال بل هو يعلم على الاقل أن طلاب الجامعة المصرية يقرأون (ديكنز وثيكري) واضرابهما وهم يستعيرون مؤلفات ديكنز وغيره من مكتبة الجامعة التي هو قيم عليها ، أفلا يستحيي من الطلاب اذا نظروا اليه نظرة استفهام عن معنى المقارنة بين عظمة أولئك الروائيين العظيمين بطفولة لاشين القصصية والروائية معاً ؟

طاهر لاشين يقول (النكتة) الظريفة ولا يكتبها ، يرتجلها ارتجالا في الظروف والمناسبات ، ولا يحسن صيغتها مهما كانت المناسبات الكتابية ملائمة والظروف مواتية ، يرتجلها في مجالسه فتأتي طبعة وفق سليقته المرحة وطبعه الرضي ،وروحه الخفيف كأنها قطعة من لب الطبيعة الساحرة ، ولما يحاول كتابتها تنبو وتتباعد عنه ، يتقصى أثرها فيضل السبيل وندر ما تشعر وأنت تقرأ أقاصيصه بنكتة بارعة تشاكل نكاته الارتجالية

طاهر لاشين واحد من أبرع من عرفت من الادباء الظرفاء قلما تسمع منه نكتة تنحرف عن الذوق الدقيق . لازمته فى كثير من المجالس متنوعة الألوان فلم أره مرة انزلق فيما ينزلق فيه سواه من الظرفاء .

يبدو لي لو أوتي طاهر لاشين قدرة على تصوير نكاتة البارعة لكان له شأن آخر في عالم الادب ولكن ... ولكنه أديب وظريف فحسب، يضارعه كثيرين في ظرفه أمثال أحمد خيري سعيد والدكتور ابراهيم ناجي وعبد الرحمن صدقي وعصام الدين حفني ناصف واخواه ولطفي جمعه ، انما يبقى هو وخيري سعيد في طليعة الادباء الظرفاء ، هذا هو صديقنا لاشين كما وصفته من ناحية ظرفه ، أما أسلوبه الكتابي فلا يمتاز بشيء غير عادي ، فأين هذا من كلام حسن محمود وقد قال فيه « إنه أقرب الى (ديكنز) الكاتب العظيم منه الى (ثيكرى) الكاتب الفكاهي والعظيم أيضاً) ؟

اللهم اني أعد ذلك من الاديب حسن محمود هفوة من هفوات المغالاة تطوح فيها، أو إلتزام من إلتزامات مسايرة الاصدقاء ، أما اذا كان فهمه لروايات (ديكنز وثيكري) يماثل فهمه لروايات (الموت في البندقية) لواضعها (توماس مان) فالحيلة ضائعة والرجاء مفقود (١)

***

موضوع الرواية كما يلخصه حسن محمود ، رحلة رجل مكدود

---

(١) طلب الى صديقي الاديب حسن محمود ان أكتب فصلا أوضح فيه فهمي لرواية « الموت بالبندقية » ليعرف مبلغ التفاوت في إدراكها والاختلاف في تحليلها وهأنذا ألبي رغبة صديقي الاديب المهذب

جاوز الستين ، مدير لمصرف ألماني أفنى العمل جسمه وحطم أعصابه ، نال الثروة والجاه ولكنه في سبيل ذلك كاد يفقد الحياة فهو يرحل الى البندقية لعل شمس إيطاليا وسماءها يعيدان اليه شيئاً من الصحة التي يلتمسها ، وقد وجد الراحة الجسدية ، ولكنه وجد تعباً نفسياً ، فان عاطفة غريبة غير معقولة تولدت فيه ، هي اهتمامه بغلام في نحو الحادية عشرة من عمره اهتماماً لا يدري هو سببه ، وازداد هذا الاهتمام الى أن صار شاغلا لتفكيره فلا يطيب له شيء غير مراقبة الغلام مراقبة دائما (كذا) وانتشرت الكوليرا في اثناء ذلك بمدينة البندقية فأسرع الاجانب الى الرحيل عنها ويزمع أهل الغلام الرحيل فيذهب الرجل المحطم ليرقب الغلام في سفره ويودعه بآخر نظرة فيجلس على مقعد وعينه لا تتحول عن غلامه الذي لم يتصل به قط ولو بكلمة واحدة ويتحرك القطار فاذا الرجل يرمي على المقعد ميتاً »

ويقول الاديب حسن محمود في تحليل ذلك ما نصه « لم يخرج « توماس مان » في وضع هذه القصة عما هو مألوف ولكن فيها الروح الحديثة التي نشير اليها لا نعني ذلك الحب غير الطبيعي الذي شعر به رجل جاوز الستين لغلام في الحادية عشرة من عمره ، حب لا يمكن أن ينشأ عنه شيء ، وليس له غاية وانما الذي نعنيه هو تصوير ذلك القلق والاضطراب النفسي الملازم للحياة الحديثة

فهذا الرجل كان يريد الراحة في سن يستحق فيها هذه الراحة ويريد أن يخلد إلى السكون في وقت يجب فيه السكون ، ولكنه بدلا من ذلك لا يجد غير التعب الذي خلقه لنفسه كأن الحياة في ضجتها وصخبها وسرعتها تأبى ان تعرف الراحة فاذا كان العالم قد فقد البساطة وتعقدت وسائله المادية فان النفس تأبى الا أن تصير معقدة شأن الحياة المادية ، فالانسان لا يستطيع ان يحول دون خلق المتاعب والمشاكل لنفسه ، والأدباء الحديثون لا يستطيعون الا أن يصوروا هذه الحيرة وهذا الاضطراب النفسي »

أرى فيما سماه الأديب حسن محمود تحليلا ، نظريات صائبة تنطبق على كل قصة عصرية تلمس ظواهر الأشياء ، ولكنها ليست تحليلا بالمعنى الذي يصل الى الأعماق والمكامن في طلب الحقائق

صحيح أن عصرنا الحالي يصطخب ويضطرب ويضج ويسرع ، صحيح أننا مساقون نحو لجة الحياة التي فقدت بساطتها وتعقدت وسائلها المادية . صحيح أن النفس صارت معقدة كالحياة وصار الأنسان عاجزا عن تفادي المتاعب وتجنبها ، وصحيح ايضا ان الأدباء اصبحوا ملزمين بتصوير هذه الحيرة وهذا الاضطراب النفسي إلا أن المؤلف أراد بقصته شيئا آخر خلاف ما قاله الأديب حسن محمود في وصفه الصحيح لروح العصر

أراد المؤلف ، كما رأيت في تلخيص القصة ، وصف حالة نفسية

طال بها الكبت وأزمن ، ولم يشعر صاحب تلك النفسية بما فيها من بعد عن غاية الحياة الطبيعية ومراميها الا بعد ان استنفد منه السعي وراء الحياة المادية والتكالب على خيراتها أكثر سني العمر ولم يترك له إلا أرذلها.

لقد تنبهت النفس المكبوتة دفعة واحدة ، وكان لا محيص لذلك التنبه عن فورة صاخبة وثورة مجتاحة، ولكن أنى القوة القدرة لتلك النفس وقد طوحت الأعوام بصاحبها الى ما بعد الستين ؟ انى لها السلامة وقد تفجرت معلولة ممروضة ، ولو كانت غير ذلك أي لو كانت سليمة من العلة لاتخذت حين تفجرها مسلكها الطبيعي وناوحت المرأة وهي الفرجه الطبيعية السليمة لكبت النفوس السليمة ، ولكن نفسه تفجرت ملتوية عليلة مريضة فصار لزاماً ان تسلك سلوكا شاذاً معلولا مريضاً ، والشذوذ هو العارض الاولي للمرض النفساني ، وصار في حكم الطبيعي أن لا يقوى الجسم المحطم والاعصاب المتهدمة على احتمال الصدمة القوية المشاكلة لعنف انفجار الكبت المزمن العنيف .

كانت براعة المؤلف «توماس مان» فريدة في تحليل عقد النفس وهي المعروفة (بمركب النقص) وكان بارعاً فى سردها ، بسيطاً في وصفها الى حد جعل التقارب بين النقيضين وشيكا ، وهل من تناقض يدل على الضعف الشاذ والتقارب بين النقيضين ، أمثل من

إعادة شيخ جاوز الستين الى طفولة غلام في الحادية عشرة من عمره لا يرتجي الواحد من الآخر مآرباً ؟ وهل من حل لهذه العقدة النفسية، وقد حطمت أمامها كل شيء سوى الموت الطبيعي الهادىء؟ الموت وحده هو المنقذ من انفجار ذلك الكبت المزمن في النفس المريضة .

انت ترى اذاً، ان المؤلف البارع (توماس مان) لم يصوّر الحيرة والأضطراب النفسي فقط ، ولم تكن غايته وقفاً على تصوير الحيرة والاضطراب كما توهم صديقنا حسن محمود ، انما كانت غايته بسط علة من علل النفس يعالجها (فرويد) واقرانه بالاستقراء والتحليل ، ويبسّطها الأدباء البارعون بالأستقراء والتحليل أيضاً .

مختار الوكيل

عرفت أيها القارىء النوع الرخيص من المغالاة ، ومن تحلية الوجوه المشوهة المجدرة بالمساحيق والطلاء، ومن الاستباحة إلباس الأقزام ثياب العمالقة ، ومن تعمد تضليل الناس بالالقاب والنعوت ؟ اما وقد عرفت ذلك ، فاسمع الآن أنشودة اخرى من هذا النوع لا تفوق ما سبقها إلا بشيء طريف واحد ، وهذا الشيء الطريف حقاً ، لم يخطر إلا ببال مختار الوكيل الذي تفضل متطوعاً فوضع احمد زكي ابا شادي مع رواد الشعر الحديث

في صف واحد مع خليل مطران وعباس محمود العقاد وعبد الرحمن شكري

وددت ان لا اطيل الكلام مع مختار الوكيل الشاب الظريف الذي طبع كتيباً دعاه « رواد الشعر الحديث » وان لا أحاسبه على كل ما جاء في كتيبه المتواضع ، لأني سمعت احاديث تنصله من بعض ما قاله في ابي شادي ، واعترافه بأن اكثر ما هو مذكور عن هذا الشاعر مدسوس على الكتاب دساً ، وان الذي تجرأ على فعل ذلك هو الذي دفع ثمن ورق الكتيب وتكاليف طباعته ، وان مختاراً الوكيل سكت طائعاً مختاراً !! وانه ما حنق ولا غضب على جماعة « ابولو » إلا بعد ان سمع الناس — وخصوصاً جماعات الادب — اعترافات الوكيل من فمه ، ولذلك فقط اكتفي بنقل بضع فقرات من هذا الكتيب، استدل بها على تساهله في قبول كل مايسند اليه،وعجزه عن فهم العرب وحياتهم في بداوتهم ، وعلى تمسحه بآراء المتفيهقين والمتحذلقين الذين يتسترون وراء الوكيل واضرابه للنيل من العرب والعربية

قال مختار « الحق الذي لا مرية فيه اننا امام شاعر واسع نطاق الفكر والخيال، والعرب قوم ضاق خيالهم لاستتباب حياتهم وهدوئهم ولتمتعهم بجوّ رائق ،ولاعتزالهم غيرهم من الامم ، على نقيض اهل اوربا الذين يكابدون في الاغلب عنت الاجواء

وقسوة الطبيعة وضراوة المعيشة وامحال التربة (كذا) فهم واسمو الخيال لخوفهم ولعدم استقرارهم ومن هنا راح القوم ينعتون كل شعر واسع الخيال بعيد التصوير غامض التفكير بأنه اعجمي ! وما كان هذا الشعر بأعجمي كما يدعون ؟ وانما هو شعر جديد على الشعر العربي الذي ألفه الناس القرون الطوال :شعرفيه نفوذ إلى ماوراء القشور البيانية المصنوعة وفيه تغلغل الى أعماق الغرائز والطبائع البشرية ، وفيه بحث عن تائه ضال وفيه نشدان الحقيقة الواحدة المتوارية عن الابصار، ومجال الخيال في كل ذلك مجال واسع لايحصره حصر ولا يقفه تلاعب بالألفاظ ولا تجد منه البريق اللفظي الخاطف الخلاب ، وهكذا ابو شادي لا يأبه للقشور ولا يقف عند بهرج الصناعة ولكنه ينحدر كالسيل الجارف من قلل الجبال حاملا معه الرمال الدقيقة والجواهر الكريمة وهو يكتسح كل ما يعترضه في الطريق ثم ينبسط اخيراً على ارض الوادي في هدوء ، شعره سيل عرم ما في ذلك شك ،فهو يتناول فيه كل ما وسعت الحياة من معان ورموز وينقل على لوحته بريشته السريعة الحركة صور العيش السافرة والمقنعة قاطبة وتجيء بعض صوره لذلك غامضة او ناقصة الخطوط أو مظلمة الالوان ولكنها تبقى بعد ذلك كله ذات طابع خاص مستقل كل الاستقلال عن سواها من «الصور التي قد تعترض سبيلك في حياتك الخاصة »

وددت أن لا أطيل الكلام مع مختار الوكيل لان في عرض فقرات من اقواله ما يكفي للدلالة على نوع الزكانة وذكاء القلب وصدق الحدس وسرعة الفطنة التي لابد منها لكاتب يتعرض لدراسة موضوع هام كالموضوع الذي حاول معالجته ، ولو كان صاحبنا يحرز ثروة من متخلفات هذه الصفات التي تركها لنا العرب ، لما أشكل عليه فهم حياتهم في بداوتهم وحضرهم ، وغمض ذهنه عن استيعاب حياة اهل اوروبا على حقيقتها ، ولما تخبط حتى ألصق بالعرب تهمة «ضيق الخيال» وأسبغ نعمة «إتساع الخيال» على الغربيين

كنت أحب أن أسلم بالنظرية الاقتصادية التي تجعل «الحاجة» هي الحافز الاولي الى اتساع خيال الرجل ، وكنت أسلم أيضاً بدعوى ضيق خيال العرب اذا قسناه اليوم باتساع خيال الاوروبيين الحاليين ، وكنت لا أمانع في إدخال عنصري الضماد والمتعة وما اليهما من العادات التي كانت شائعة في عرب الجاهلية على صفات الاستتباب والهدوء ، والابتعاد عن الامم الاخرى التى سببت «ضيق خيالهم» لان الكبت عنصر حافز قوي في فدح الذهن وفتق الخيال أو العكس!! ولكن ما بالك وكل هذه النظريات والفروض والادعاءات لم تحل دون إنطلاق خيال العربي الى أبعد مدى من حدود الحياة في ذلك العصر العريق في الجهالة ؟ما بالك وطبيعته

المستمدة من اقليم الجزيرة التي تتقلب عليها الفصول الاربعة بدقة ونظام ، ومن بيئته التي كانت تجارتها قائمة على المقايضة ، ومن كسبه المرتكز على السلب والغزو ، ما بالك وحاله لا يمكن الا أن تكون حال رياضي يحسب ويستخرج ويقيس ويضبط ويزن ويدقق فيجعل لتفكيره وغنائه ورحلاته وغزواته أوزانا وأرقاماً ومقاييس؟ ما بالك به وقد انطوى على نفسه ، تحت تلك الاجواء الرائقة ، وفي ظلال الاستتباب بالحياة والمتعة بالطمأنينة والهدوء ، وفي نعمة الاعتزال عن غيره من الامم . ما قولك فيه ، وقد تراءت له الصور التي ابتدعها خاطره الهادىء ونفسه الصافية ، فوصل خيال روحه الانساني بروح الالوهية فكان منه النبي والمتصوف والحكيم كما كان منه البطل في شكل محارب وشهواني ومريض ؟ !!

ليست العلة في «ضيق خيال» العربي انما هي في رؤوس من يقيسون آداب القرن العشرين بآداب العرب في جاهليتهم وبداوتهم وليس يقع الذنب ، لا على العرب ولا على الغربيين انما يقع على رؤوس الذين يعرفون من الادب الغربي أكثره ، ويجهلون الآداب العربية كلها

أعود الى الخيال الغربي فاقول ، إن ذلك الذي تقسو عليه الطبيعة ، ويزحمه المجتمع ، وتعنته الاجواء ، ويشغله العراك والتنازع على البقاء لابد يكدر عيشه ، ويربّد خاطره ، وتخمد فطنته ، ويصلد

ذهنه، ويبطيء حسه أو يتبلد، فيضيق خياله الروحي ويقصر همه على مغالبة صروف الحياة فتتوثب حيوانيته المصقولة بالمدنية الكاذبة للمنازعة والمحاربة على العيش

لا أنكر أن في الغربيين اليوم من هم أوسع خيالا من كل من عرفناهم من العرب العرباء والمستعربين ، وأن لاسبيل البتة الى مقارنتهم بهم، ولكني أقرر أن أكثر من سموا بخيالهم الى ارفع الطبقات وتغلغلوا في صلب الحياة الانسانية ، انما نزعوا عنهم مدنيتهم وارتدوا عائدين الى الطبيعة يسرحون فيها خواطرهم لتجول بهدوء واطمئنان . وينطوون على أنفسهم كما انطوى عليها العرب من قبلهم . ليصلوا خيالهم الانساني بروح الالوهية ليكون منهم ابطال في ثياب أنبياء ومتصوفين وحكماء او ابطال في اجسام محاربين وشهوانيين ومرضى كما كان للعرب

للخيال الغربي خصائصه ومزاياه ، والخيال الشرقي خصائص ومزايا أخرى ، إنما صاحبنا مختار الوكيل أراد أن يغرس غرساً جديداً في تربة صاحبه ابي شادي ، وفاته أن ليس كل تربة صالحة لكل غرس ، وان شاعريته وخياله وتفكيره ليست بشرقية ولا بغربية ، إنما هي البحران في التوسوس . ولا أخال مختارا الوكيل الا معترفا بوسوسة صاحبه وعدم اتزانه ، وكيف لايعترف وقد حاول الاعتراف جهراً فخانته شجاعته فعمد الى

التحايل والمواربة شأن أدباء الشباب الذين أبوا الا يكونوا عبيداً لأحراراً وتبعاً لا أسيادا ! !

اسمع كيف يتحايل الوكيل على القول في صاحبه « يتناول ابو شادي في شعره كل ماوسعت الحياة من معان ورموز ، وينقل على لوحته بريشته السريعة الحركة صور العيش السافرة والمقنعة قاطبة وتجيء بعض صوره غامضة أو ناقصة الخطوط أو مظلمة الالوان » ويقول أيضا « لست أنكر ان شيئا من اللبس ربما اعتور شاعرية هذا الرجل حال النظم ولكن هذا لا يضيره على الاطلاق ، وعذره في ذلك توزع فكره ، وكثرة شواغله التي من شأنها ان تهدم الفكرة وتقضي على العاطفة » ويقول أيضاً « وكثيراً ماتبدو صوره الشعرية مضطربة حيرى مبهمة في بعض المواضيع » ويقول أيضا « أنه يعنى بالنظم في توافه الاشياء التي يراها المرء في كل مكان وزمان وقلما يعيرها التفاتا » اه

قل لي بحقك بعد هذا ، ما قيمة شاعر تجيء صوره غامضة أو ناقصة الخطوط ، أو مظلمة الالوان يعتور شاعريته اللبس والابهام ، والاضطراب والحيرة ؟ هل يقبل عذر لشاعر موزع الفكر كثير الشواغل ينظم في توافه الاشياء ؟ ان توزع الفكر وكثرة الشواغل كما يقول مختار الوكيل (تهدم الفكرة وتقضي على العاطفه) فكيف سوغ لنفسه حشر صاحبه بين مطران والعقاد

وشكري وإقحامه أياه بين رواد الشعر الحديث وهو على ماهو عليه من صفات مهما غالى في تبطينها وتمويهها لا تحتجب حقيقتها عن الابصار ؟ ماذا يقول البعيدون عن مصر في نهضتها الادبية إذا لقوا هذا الشاعر العجيب بين رواد الشعر الحديث ؟ حقاً لست ألوم ابا شادي المتكالب على الشهرة ، المريض بحب تحدث الناس عن وساوسه الشعرية وتطوراته الغريبة ، بقدر ما ألوم الشبان الذين انقادوا ، أو انساقوا ، أو انزلقوا ، مأجورين أو غير مأجورين الى استجماع الكلام الرخو ، وضمه في جمل رخيصة ليجعلوا منه قلائد لا تزين جيد المقول فيه ، بل تضحك العقلاء منه ومن قائليها .

أحمد الصاوي محمد

يتحدث المتحدثون عن أديب من كبار الادباء أنه حريص كل الحرص ، ولوع كل الولوع في كتابة مقدمات الكتب التي يكتبها الشباب وأنه لا يتورع ولا يتحرج من مخاصمة المؤلف الناشيء الذي لا يدلف اليه متضرعاً متوسلا كتابة مقدمة لكتابه ، وأنه لا يدع مؤلفاً ينجو من نقده الجارح اذا لم يتقدم اليه بالذات يحمل مؤلفه هدية مشفوعة بالابتهال والرجاء

ويتحدث المتحدثون أيضاً عن شاعر يتسقط أخبار طلبة المدارس والشعراء الناشئين ، فيتقرب منهم أو يقربهم اليه ، لا ينفك عن

هيلمته وتحايله عليهم حتى يطبعوا أشعارهم في جريدة أو مجلة ويجمعوها في ديوان فيكتب هو مقدمات تلك الدواوين

ويقول المتحدثون عن هذا الشاعر إنه كثيرا ما تبرع بنفقة طباعة الديوان أو ثمن ورقه ولا غرض له من ذلك سوى إرضاء شهوة نفسه الملحة وتخدير مرضه في كتابة المقدمات !

في اعتقادي أن كلا الرجلين مريض ، ومرضه معروف عند علماء النفس بمرض « مركب النقص » والظاهرتان اللتان يتحدث المتحدثون عنهما هما بعض العوارض البسيطة لهذا المرض، ومن غريب العوارض المركبة التي تنتاب المعلول بعلة عقد النفس هي حب الشهرة ، وحب العظمة ، وحب الاختلاق واستنباط الاقصوصة الوهمية ، وحب الغرور والمغالاة وحب اكتساب عداء الناس وغير ذلك (كألاوفتا لموبورني والأونانيزم) وسواهما

فهذا الحب الذي ذكرت لك بعض أنواعه ، له مغزى واحد ودلالة واحدة تشير إشارة ظاهرة إلى مكمن « ضعف الملكة الادبية » فالاديب الأول الذي تنعم نفسه برؤية مؤلف ناشي يدلف اليه متضرعاً متوسلا ، والشاعر الثاني الذي يتصيد الطلبه والشعراء الناشئين ينفق عليهم من ماله انما هما مريضان ، وأنه لا بد لهما من ستر مرضهما بالتغشية والتعمية ، فذيوع السيرة

واتساع الشهرة عن طريق كتابة المقدمات ما هو الا أحد أنواع التغشية والتعمية التي تخفي أو تستر « ضعف الملكة الأدبية »

* * *

نتكلم الآن عن ظاهرة الغرور المستولية بل المستبدة بعقول كثيرين من الكتاب فجعلهم يتوهمون أن في استطاعة الواحد منهم أن يكون كاتباً متفوقا في أصول الادب والعلم والسياسة والاجتماع والتاريخ والنبات والنجوم وفن المسرح والقصة والرواية

وظاهرة الغرور هذه دعتهم إلى الاستهانة بأصول العلوم والفنون كلها واسترخاص « الاختصاص » واعتبار الاخصائي بفرع من فروع الادب أو العلم عاجزاً عن إدراك الحياة كاملة وعن فهم مراميها الواسعة ، وهم يقدرون للكاتب بل يحتمون عليه معرفة الفنون كلها والعلوم جلها وبدونها لا يحق له في زعمهم أن يكون كاتباً !!

ليت هذا التوهم حقيقة ، بل ليت الهواجس التي تهجس في خواطر أدباء الشباب تدنو من الحقيقة ، بل ليت الشبان يعدون العدة في قراءة الكتب ومؤلفات كبار رجال الفكر في العالم

استعداداً لهذه المعرفة ، إذ لو كانت أوهامهم حقيقة . أي لو كان في مصر كتاب من هـذا النوع الكامل — الذي أحسب أنه لا وجود له في العالمين الاوربي والاميركي — لكان لنا مدنية قائمة على أسس من الادب والعـلم لا نظير لها في العالم كله ، ولكننا اعتبرنا جميع أدباء الشباب عبـاقرة أو أنبياء أو أنصاف آلهة — ولكان خبر معجزات هؤلاء الشباب تجاوز حدود مصر وجاب الامصار كلها ، ولـكن .. ولـكن ما بالك وشهرة مصر الادبية ما بلغت الاصقاع العربية القريبة الاعن طريق السياسة والدين ؟وأن أوساط أوربا الادبية والعلمية لا تعرف عن مصر — رغم تحريها وتقصيها — الا النذر التافة من نهضتنا العلميه والادبية؟

أبى أدباء الشباب الا أن يكونوا مغالين ومغرورين ، وأبت عليهم عبقريتهم المعكوسـة إلا أن يضربوا لنا الامثال على أنهم أدعياء في كل شيء ، فى أصول العلم والأدب وفي فروعها أيضاً

خليق بي قبل انهاض الدليل على غرور الادباء أن أسأل عن التفاوت بين كاتب سياسي وآخر اجتماعي ، وعن نوع المفاضلة بين شاعر وقصصي وعن الفوارق بين مؤرخ واقتصادي ، وهل هناك اعتبارات اجتماعية أو خلقية تحط وتضع من مكانة الواحـد وترفع وتسمو بمنزلة الثاني ؟

أحسب ان لا شيء من ذلك أبداً ، واذا كان ثمة شيء فانما

يكون في التفوق ، وعندي بل باعتبار الناس المتعلمين أن مكانة الكاتب في نفس القاريء لا تأتي من ناحية الموضوع بذاته بل تكون من ناحية التفوق في معالجة الموضوع ببراعة وحذق

لنضرب مثلا بالكاتب أحمد الصاوي محمد المحرر بجريدة الاهرام والذي يتناول المواضيع الاجتماعية فيعالجها وفق الظروف والاغراض والنزوات!!

لا شأن لنا البتة بمعرفة ما اذا كان يوفق مرة أو يفشل مرات في معالجة موضوعاته : إنما غرضنا ان نقول إن الصاوي معروف عند القراء بهذا الاتجاه الاجتماعي وصار عنوان « ما قل ودل » الذي نطالعه في الاهرام يدل على الصاوي نفسه أكثر مما يدل على جريدة الاهرام وأصبح الصاوي لا يدل في كل ما كتب وجمع من كتب الا على «طقاطيق» ماقل ودل ، ولكن ما بالك بهذا الكاتب الاجتماعي وقد أبى ألا أن يحشر نفسه في زمرة الادباء والشعراء واستكبر ألا يكون في عداد كتاب مقدمات دواوين الشعر ؟

ما بالك به وقد ركب رأسه غير حاسب لزلات القدم حسابا، ما بالك وقد كتب مقدمة لديوان الدكتور ابراهيم ناجي اعتقد أنها فريدة في بابها ، وحيدة في نوعها ، لم يسبقه الى كتابة نظيرها سابق ولن يلحق به في محاكاتها وتقليدها لا حق !

اسمع الآن كيف تفصح الصاوي وكيف عصر يافوخه يستقطر منه البديع من المعاني ويبتكر التراكيب (ليصوغ) منها مقدمة (ويصيغ)قلادة يزين بها ديوان الدكتور ابراهيم ناجي قال لا فض فوه :

« يكاد يكون ديوان ناجي قصيدة واحدة ، وقصيدة حب فقد وجد الحب منذ ما وجد الشعر، أو وجد الشعر منذ ما وجد الحب ! وكأني بالهة الحب (الزهرة) واله الشعر (ابولو) قد سارا جنباً إلى جنب تقطعان (كذا) الافلاك والأجيال (كذا) باحثتين (كذا) عن رجل يعيش بالحب والشعر ، ويعيش لهما ، ومن أجلهما ، فهو دائما المحب الشاعر ، حتى تجلى لهما من وراء (الغمام) وعندئذ تنازعتا (كذا) عليه ، فالهة الحب تدعيه لنفسها خالصاً ، واله الشعر ينسبه الى ملكوته خالصاً » . . .

« ولكن إذا درسنا شعر ناجي وجدنا أن الحب والشعر في نفسه قد امتزجا فصارا شيئاً واحدا ، كالذرات التي كانت تبحث عن بعضها لتكوّن الوحدة الكاملة ، فاجتمعت دون أن ندري كيف ، وكونت روح الشاعر

« فهو دائما يشعر بـ (الحنين) الى الجمال (الضنين)

وينشد « الميعاد » ويقضي في « الانتظار » الدهور على « صخرة الملتقى » أملا في « ساعة لقاء » و « مصافحة اللقاء » وهو في هذه الخلال ليشعر أنه « المنسي » فيضرب في (ليالي الأرق) على « الناي المحترق » دور « مناجاة الهاجر » أو يروح يلقي أغنيـة في هيكل الحب ... أو يصلي عند « العودة » « صلاة الحب » وقد « يظفر » بقرب حبيبه ولكنه يشك في هذا النعيم الذي لقيه فيبكي من النعمة كما يبكي من الشقاء » اهـ

أقسم بألهة الحب الزهرة التي ذكرها الصاوي وبأله الشعر (أبولو) الذي صيره أنثى ، بأني نقلت هذا الكلام المبتكر بنصه الشائق وفصه الرائق من ديوان (وراء الغمام) فاذا كنت أيها القاريء لم تفقه كلمة من هذه الاحاجي البيغاوية والرطانات العجماوية فاعلم ان الصاوي « حماه الله » جمع بلباقة وكياسة وظرف ، عنوانات قصائد ديوان ناجي ونضدها كما ينضد بائع الخرز والودع عقوداً ليتحلى بها رجال الزنوج فجاءت كما ترى !!

أعرفت كم كلفت الصاوي كتابة هذه المقدمة من الوقت ؟ أعلمت كم اقتطعت هذه « السبحة » من عمره الغالي وليله الثمين ! يقول الصاوي في ختام المقدمة « والآن اذ أودع على اسف ليلة قضيتها حتى مطلع الفجر مع هذا الديوان » إذن لقد اقتطعت المقدمة المهلهلة المرقعة ليلة با كملها كان الصاوي المسكين في خلالها

يعاني آلام افتعال الأدب كما تعاني المرأة آلام ولادة عسرة، ليلد مقدمة متكلفة فجة مشوهة لا تعني شيئاً ولا تدل على شيء .

لماذا كل هذا العناء، ولِمَ التكلف وحمل ما لا طاقة على حمله، لم الترقيع البشع واللغو السخيف؟ الجواب : ليقال إن أحمد الصاوي محمد أديب وشاعر وناقد وفيلسوف وعالم ومبتدع كما هو كاتب اجتماعي وخصوصا في شؤون النساء .

ثلاثة مرضى بمرض « مركب النقص » عرضت لاثنين منهم وسأرجيء الكلام عن ثالثهم

احمد زكي ابو شادي — صالح جودت

احمد زكي أبو شادي شخص يختلف عن كل الناس في كل شيء، فيما كان وفيما هو كائن، فيما سيكون وما سوف يكون، شخص لا مثيل له البتة، يعمل ويكتب ويقول ولا يزن، يخاصم ويعادي ويوادد ويصاحب ولا يزن، لا يزن شيئاً البتة، لأن طبيعته لا تعرف الميزان، لذلك يغلو دائما حتى الاسفاف، ويغرق دائما حتى يخيل اليك انه ممرور، وهل ثمة من دليل على ذلك أوضح من المقدمة التي كتبها لديوان صالح جودت ؟

لقد بزت مقدمة ديوان جودت التلميذ كل المقدمات، وفاقت بما جاء فيها، مبالغات « المرسيليين » ومفارقات « الاسكتلنديين »

opeikandi.com

التي يتنادر الناس بها ، وضربت القياس الذي سوف لن يبلغه مبالغ ، هل يكثر على ابي شادي أن يضع صالح جودت الذي يتلقن شعر الفلسفة والوجدان والتصوف على أيدي (الرائدين) من شعراء مجلة الامام ، وهل أقل ما يقول في شاعريته انها أقوى وأبعد مرمى وأسمى بيانا من شاعرية المتنبي ؟ هل يكثر على هذا (الطلعة) أن يجعل وثبة شعراء مجلته (أبولو) تفوق أشعار المتنبي والمعري وملتون وبردجز ؟ اسمع ما يقوله في جودت

« لم أتناول هذا الديوان بفرحة المؤمن بمواهب صديقي الشاعر المبدع صالح جودت بقدر فرحي بالظاهرة الحية الجديدة لشعر الجيل الحاضر » وقال « ليس حتما أن الشاعر النابغ في شبابه يطرد نبوغه في كهولته وشيخوخته ، فبعض الشعراء العالميين كالمتنبي وأبي العلاء وملتون وبردجز جاءت آثارهم القوية فيما بعد شبابهم ، ولكن مما يسترعي الانتباه أن وثبة شعراء الشباب في هذا الجيل ، بل ثورتهم لا تشعر بانها حالة وقتية ، بل تبشر بنهضة مطردة ، وهي الآن بصورة قوية أخاذة ولنضرب مثلا بالمتنبي الشاعر العبقري الخالد القائل في صباه

بأبي من وددته فافترقنا
وقضى الله بعد ذاك اجتماعا

فافترقنا حولا فلما التقينا
كان تسليمه عليّ وداعاً

والقائل أيضاً

شمس اذا الشمس لاقته على فرس
تردد النور فيها من تردده
إن يقبح الحسن الا عند طلعته
والعبد يقبح الا عند سيده

نفس تصغّر نفس الدهر من كبر
لها نهي كهله في سن امرده

فهو في هذا الطور من حياته (المتنبي) لم يكن أقوى شاعرية ، ولا أبعد مرمى ، ولا أسمى بيانا من شعراء جيلنا المتوثب وفي طليعتهم صالح جودت » !!

قد يكون صالح جودت مفطورا على الشعر ، وقد يكون في شعره عناصر من الجمال والفن والصدق ، وقد لا يكون فيه شيء من ذلك كما سنرى ، إنما المغالاة في تقدير صفات شعراء الشباب وتفوقها على صفات الشعراء الخالدين كالمتنبي وأضرابه ، إنما هو تقدير زائف ، يفسد الملكات ويلقحها بالغرور ، ويقضي على أصحابها كما قضى على الفتى الشاعر صالح جودت ، فانه ما كادت تهب أول هبّة من النقد على ديوانه الفطير وشعره البسر حتى

بددت أغشية التضليل عن عينيه ، وجلت الحقيقة أمامه فطلّق الشعر ثلاثا وتاب الى ربه مستغفراً وهو يذرف دموع الغيظ ويلعن الغش والغشاشين ، وقد ختم حياته الشعرية القصيرة غير المأسوف عليها بالابيات التالية

لا رعاك الله يا شعري علـ   ـى الدهر ولا حياك حي
قد تمردتُ على الله فخا   ت نقمة الله علي
يا إلهي قد نفضت الشـ   ـعر عن قلبي وأخليت يدي
وكسرت اليوم أقلامي وأ   غلقت بقلبي شفتي
وتنكرت لليلاي التي أو   حت باشعاري الي
عدت للمسجد والتقوى   وأوهت صلاة ركبتي
وغدا القرآن في يمنا   ي يسترحم من نشر وطي
يا آلهي ... دمعة النادم خـ   ـفف نارها من مقلتي

انقضى حول كامل على صالح جودت وهو منزو في كن يتوارى عن اعين الناس خجلا من شعره . . . .

لو أصغى هذا الشاب الى نصح الناصحين وصدق قول النقاد الذين حاولوا أن يأخذوا بيده ضنا بموهبته أن تتبدد ، لما نفذت جريمة أبي شادي اليه ولما سقط كالاشلاء وقد فقد كل شيء حتى الكرامة . . .

ياالخيبة الأمل وضياع الرجاء ، لقد كان في الامكان تهيئة

هذا الفتى لان يكون شيئاً ولكنه ورم وانتفخ ، لقد لقحه أبو شادي الاثيم بالغرور فتعاظم فكان يتبجح ويقول

قد سئمت الغباء في مصر حتى
لا أطيق الحديث إلا لنفسي

جهل الناس ما أقول . . . وقالوا
ما أراه مضيعاً طيب غرسي

هكذا العبقري بين الجهالى
زعموا أنه مصاب بمس

وها هو العبقري اليوم ميت لم يستر ح . ودفين بين الاحياء ...ه

لقد سلم الناس من شعره
ولكنهم لم يسلموا من علله
المعدية وأمراضه التنقلة ،
لقد أمرضته مجلتنا أبولو
والامام فماتتا غير مأسوف
عليهما أما هو ... فقد طلق
الشعر
وقد يحيي الله الرمم
والعظام

محمود أبو الوفا ؟ ؟ ؟

؟ ؟ ؟ حسن كامل الصيرفي

لم أبغ في كتابة هذه الفصول الاكتفاء بالتدليل على روح الغلو والاسراف في القول والبعد عن مرامي الحقيقة التي تلابس أدباء الشباب ، بل قصدت الى معرفة اتجاههم الفكري ومبلغ تعمقهم في درس الحياة وفهم معاني الادب عن طريق المقدمات ، والى الموازنة بين الشبان والشيوخ توصلا الى استكناه حقيقة نهضتنا ، والوقوف على مبلغ تقدمها

لقد تبين لي حتى الآن أن أدباء الشباب ينقسمون الى قسمين غير متكافئين ، قسم قليل العدد تضيع افكاره او تتناثر بين جعجعة الثرثارين ، وقسم كثير يعيش بالمغالبة والمصايحة والاستهتار . لا ينقص رجال القسم الاول الثقافة لانهم يعبون من مناهلها بلهفة ، ولا يعوزهم الفهم والادراك لانهم يستوعبون ويهضمون ما يدرسون ويرجعون اصداء ما يقرأون ، إنما تخونهم الجرأة والاقدام والثقة بالنفس ، فيعمدون — شأن الضعيف — الى المواربة والمداورة والى اكتناف الانصار من فئة الشباب الثانية ، زاعمين انهم نجدتهم عند الحاجة ، وعدتهم وقت النضال

أما القسم الثاني وهو الاكثرية الساحقة كما يقال بلغة

السياسة ، فان رجاله أغراب عن عالمنا وعن عقولنا ، أغراب عن زمننا وعن جيلنا الحاضر ، أغراب في تفكيرهم وفي نظراتهم الى الحياة والى مراميها . وقد لا أتجاوز الحقيقة إذا شبهتهم من ناحية اتجاههم الفكري ، بالفترة بين زمنين ، وفوضى التطور التي تتقدم حالة التوطد والاستقرار ، واليك البرهان والحجة مستمدين من تعريف الواحد من أصحاب القسم الاول للشعر وطبيعة الشاعر ومن تعريف الثاني لها وهو من اتباع القسم الثاني للمدرسة الحديثة

قال الاول « اذا طغى الاستبداد على الحرية ، وتغلبت المادة على الروح ، وضؤل نور الامل الفياض حتى كاد يخبو ، واستبدت القوة الغاشمة بالحق فوارته الى حين ، عجزنا عن بلوغ الطمأنينة النفسية الا في خمائل الروح الخالدة . ذلك أن الانسان كائن روحي مهما يعارض في ذلك السلوكيون ، نزاع الى مايمكنه من التغلب على نواحي الحياة المادية وإخضاعها لمطالب الروح العليا فنلتفت عندئذ بداهة الى الشعراء والفلاسفة الذين نسمع في انشادهم الحان النزاع النفسي العنيف ، فأهازيج النصر ، فأنغام الاستقرار في ساح الحرية والمحبة والأمل والحق

« والشاعر في نظري هو من تأخذه الحياة بتلابيبه وتدفعه إلى الأنشاد قسراً ، ففي طبيعته الدقيقة الحس تلتقي الافكار والاخيلة والاحساسات ، وتختلط وتندمج ثم تخرج صوراً جديدة

لا أثر فيها لاعنات الفكر ولا لكد الخيال ، ولا لتكلف الشعور ، ومن هنا أرى أن سماحة القريحة في الشعر هي في طليعة ما يمتاز به الشعر العالي وحسبي أن أقول الشعر وكفى

«فالشاعر اذ تتملكه صورة ما ، لا يبرح يقلب فيها النظر حتى ينبثق من عقله الباطن آراء درسها ومثلها بالتأمل الطويل ، يوشيها بذهب خياله الوهاج ، ويمهرها بنار شعوره ، فتخرج في الكلام الذي يمنحها قواما خارجياً ، صورة لست تجد فيها الفكر الذي نسج آراءها ، ولا الخيال الذي وشى حواشيها ، ولا الشعور الذي نفخ فيها رعشة الحياة ، بل تجد شاعرية شاعر اجتمع فيها التفكير عميقاً صافياً ، والخيال جريئاً وثاباً ، والشعور متأججاً صادقاً ... في ألفاظ كأنها في معانيها ومبانيها وجرسها ومواقعها آيات التنزيل . هذه هي وحدة الاندماج في الشعر العالي بين أقانيمه المتباينة

«ونحن اذا رجعنا الى تاريخ الادب في أمة من الامم وجدنا عصور الانحطاط في الانتاج الشعري موسومة بسمة التفكك في هذه الوحدة فيتفوق العقل على الاقانيم الاخرى ، ويسمو شأن الصناعة ويضعف شأن «السماحة» أو «الطلاقة» وبذلك اتصف عصر «دريدن» في الشعر الانجليزي على ما بيّن المستر «درنكوتر» في محاضراته ، وبالطلاقة وارسال النفس على سجيتها

وامتازت عصوره الذهبية في أيام تشوسر وشكسبير ووردزوث وكيتس وشلي » اه

حقا انها لمقدمة مفرغة في قالب البراعة في تعريف الشعر وطبيعة الشاعر ولكن ليس كل الشعر من وحي واحد ، ولا طبيعة الشعراء من جبلة واحدة ، ولا الشاعرية من معدن واحد ، وان القول المجمل السديد والتعريف المطلق الذي قد ينطبق على زيد من الشعراء لا يستوي بل يتنافر مع طبيعة ومزاج شاعر آخر ، فما بالك وهذا التعريف المطلق لروح الشعر والشاعر لا ينطبق ، لا من بعيد ولا من قريب ، على شاعرية الشاعر الذي أسعده الحظ بأن يتوج ديوانه بهذه المقدمة الشائقة ؟!

نشهد وينطق الواقع بثقافة كاتب هذه المقدمة وبفهمه لروح الشاعرية وبادراكه لخصائص الشاعر ، ونريد أن نشهد القارىء على ان الشاعر الذي قيلت في شاعريته هذه المقدمة هو (غريب) عن وطن الشعر ، لا يمت الى زمرة الشعراء بنسب ، ولا تصله بهم صلة قربى لانه القائل

ياليل هل ترثي لواجد ... ياليل أنت عليه شاهد
أشكو الوسائد للمرا ... قد والمراقد للوسائد

ولأنه القائل :

هيئي لي جوا أزورك فيه كلما شاقني الهوى أن أراك
هيئي لي جوا اذا ماطلعت لم أجد في سمائه إلاك

أحسب ان الابيات النموذجية التي اقتطفتها من دوحة هذا الديوان ليس فيها من الشذى العطر الذي يفوح من أنفاس الشعر، ولا براعة التصوير لمعاني الجمال، ولا تشعر بالرعشة التي تشيع في حساسية الانسان حين سماع البيت في القصيدة انما فيها الاثر البارز لاعنات الفكر وكد الخيال وتكلف الشعور، بل هي كلمات موزونة مقفاة لو تناولها الناقد بكلمة تحليلية واحدة لارسلها مع الغبار تغشى ناظمها وتزهق نفس قائلها ولكن ... ما الى هذا رمينا ولا إلى تحليل الشعر قصدنا إنما غرضنا أن نقول ان « المناسبات » وما يلي المناسبات من بواعث — وكثيراً ما تكون بواعث الخير الخاص مدعاة للشر العام — هي التي أرغمت الأديب المثقف ان يكتب مقدمة لديوان فكتبها مدفوعاً بعامل الخير فجاءت مقدمة كعقد من الجوهر الغالي في عنق عجوز ديدبيس

وأحسب لو أن ملكة الجرأة والاقدام كانت تسود نفس هذا الأديب المثقف، لنبذ حتما رجاء الراجين وضراعة الضارعين ولأعرض عن كتابة ما كتب ضناً بأدبه هو، وشفقة على شاعره المسكين

قد تكون الشفقة التي أثارها الشاعر المستجدي في نفس الكاتب المثقف هي التي حفزته إلى كتابة مقدمة رأى في كتابتها ما يروج بيع ديوان الشاعر المستجدي، ففعل مسوقا بعامل الشفقة والاحسان ، ولكن هل تستسيغ طبيعة الادب أمثال هذه المعاذير؟ وهل يليق بالاديب المثقف أن يسخر الادب لخدمة مقعد في سوق الأدب ؟ هل يليق بأديب يسكر من خمر الآلهة ويرتع في جنات الحياة ، وينعم بمرأى مالا يراه الناس ويحس ويشعر بغير إحساسهم وشعورهم ، هل يليق به أن يقول لنا عن الطحلب أنه الزنبق وعن الشيح والطيون أنهما النرجس والجلنار؟

اللهم ان هذا لكثير ، وإني أعزو السبب الى طبيعة الشباب التي لم تخشوشن ولم تتمرد بعد

أما الأديب الثاني وهو من الفئة الكثيرة (الساحقة) لا أذكر اسمه أيضاً حتى لا يقال اني أتربص بأدباء الشباب فأنال الواحد منهم بعد الآخر ويكفيني ان أقول انه شاعر ، فقد قال في تعريف الشعر وطبيعة الشاعر ما نصه :

« خطا الشعر خطوته الأولى نحو التجديد ، نحو الخلاص من القافية المطولة ، والبحث عن المعنى قبل اللفظ . نحو الخروج عن دائرة المديح والغزل المصطنع ، إلى عالم النفس وكنهها المترامي الاطراف ، إلي التدقيق في الزهرة ونشوئها في أعماق البحار وسر

مدّ أمواجها وجزرها ، في كبد السماء ومحاولة كشف خفاياها وأسرارها ، في النسمة وما تسر إلى الزهرة ، في الموج وما ينقل إلى الشاطيء ، في الهمسة وفي الصمت . في النور وفي الظلمة في الوجود وما حوى وفي ما خفي وراءه وانطوى » اه

أرأيت يا صاحبي كيف أن أكثرية أدباء الشباب غريبة عن عالمنا وزمننا وجيلنا الحاضر ؟ أرأيت كيف يختلف تفكيرها عن تفكيرنا وكيف تتطلع إلى عوالم غير الارض التي يسكنها الناس ؟ أعرفت الآن مرامي مدرستها الحديثة وغاياتها في جعل الشاعر عالماً يبسط في قصيدته علم النفس وكنهها وعلم النبات والتدقيق في الزهرة ونشوئها وعلم الابحاث النائية لمعرفة أعماق البحار وسبر أسرار مد أمواجها وجزرها وعلم النجوم وطبقات الجو لكشف كبد السماء ونبش خباياها ومعرفة ما تسر النسمة إلى الزهرة وما ينقل الموج إلى الشاطيء وعلم أسرار الغيب ليستبين الشاعر على أضواء العلوم الهمسة والنور والظلمة والصمت والوجود وما حوى وما خفي وراءه وانطوى !!

هذه علوم مقررة في برنامج المدرسة الحديثة مصدق عليها من وزارة أدباء الشباب ان جهلتها أنت لا بأس من الشيوخ فيجب أن لا يجهلها أتباع (المدرسة الحديثة) التي يديرها رواد الشعر والأدب من أبطال الشباب

اللهم احفظ لنا عقولنا وارحم شبابنا إنك خير الحافظين والراحمين

عبد الله عفيفي　　　　محمد مصطفى الماحي

يود شعراء الشباب لو ينحصر نقد الشعر في زمرتهم ويقف عليهم وحدهم ، بحجة أن الشاعر أوفر إدراكا لخصائص الشعر من سواه ، وأكثر تذوقاً لما دق وخفي من معانيه ، وأثقب بصراً في إستلماح أطياف الصور وظلالها !

ليس لنا أن نعترض على هذه الامنية التي يرددها الشعراء في مجالسهم ، ويبثونها شكايات في الصحف ، وظلامة يتمنون لو يستجيب لها النقاد فيكفوا حملاتهم عليهم ، أقول ليس لنا أن نعترض على هذه الامنية إشفاقاً على الشعراء ورأفة بهم ، إنما أحسب ان الاحتكار مرذول ومكروه في كل شيء ، فما بالك لو تناول الشعر ، وكان المحتكرون شعراء ؟ إن شاعراً تجول في خاطره أمنية كهذه هو شاعر لم تتحرر نفسه بعد ، وسوف لن تتحرر أبداً ، وأن لا بد ان يكون شعره هو النظم بعينه مهما كان نوعه ، لأن الاصل في الشاعر هو الانطلاق الروحي ، والتسامي على عامة الناس ، والاستهتار بالقيود والعرف ، وعدم المبالاة بما يقوله الناس في شعره إذا كان منتزعاً حقاً من فؤاده ، أو فيه مسحة صادقة من صور جمال الحياة ، أو معبراً عن العاطفة أو الرغبة ، أو الخالجة التي يشعر بها كل قارىء ، إن شاعراً تجتمع فيه هذه

الصفات كاملة لا يأبه البتة لنقد الناقد مهما كان ...

لنستجب الآن الى رجاء الشعراء ، ولنكفّ عن تقدمهم نحن غير الشعراء ، ولنستمع للشاعر عبد الله عفيفي، وهو يقدم للناس الشاعر محمد مصطفى الماحي قال :

«ولقد عرفت الشاعر « محمد مصطفى الماحي » فعرفته شاعراً بسمته وهيئته وطبعه وفطرته ، وروحه ، ومادته ، وبديهته ورويته ، وخياله وحقيقته — عرفته بهؤلاء جميعاً قبل أن أعرفه شاعراً بلفظه وقوافيه . فلما سمعت شعره مبادهة ، وقرأته على مهل ، علمت أن هذه المخايل الصادقة كالبرق يتبعه المطر ، والزهر يعقبه الثمر .

والشاعر « محمد مصطفى الماحي » يقظ الشاعرية ، منتبه الوجدان ، دقيق الحس ، لماح النظر ، قوي العاطفة ، فهو من هذه النواحي شاعر مصري يصل ما بينه وبين أسلافه السابقين بسبب متين ، وانك لتقرأ شعره فتجد صورته وصورة ما يحيط

به واضحة جليـة لا يعتورها نقص ، ولا يشوبهـا كلف ، ولا يزيدها زخرف أو تمويه ، ففي ديوانه الذي بين يديك تجد صولة الحب ، وثورة العاطفة ، وسورة الشباب ، وزهوة الامل ، ولوعة الحزن ، وشكوى الزمان ، ومساجلة الاخوان ، وفيه ذكرى الحوادث ، ونقد لحالات الاجتماع ، وفيه ما شئت من آثار القوة الشاعرة ، والقوة المفكرة .

« وقد ألهمته روحه المصرية ، وفطرته المصرية ، وشاعريته المصرية ، ذلك القول المستفيض من حديث الاخاء والاخوان ، فقد كرم إخوانه أحياء وبكاهم أمواتاً أكثر مما كرمهم غيره وبكاهم »

بعد أن فرغ الشيخ عبد الله من (مقامته) العفيفية ، أو مقدمته الماحيَّة ، تخير ، وهو الشاعر المفلق ، قصيدة من عيون شعر صديقه الشاعر المفلق أيضاً ، ساقها نموذجاً ساطعاً يهدي الناس بها إلى هذه الشاعرية الوضاءة والى لمعانها وتألقها وقد نظمها الماحي في رثاء «صفية عزيزة عليه»

أخت البدور ، وكنت أبهى منظراً
وأجل حسـناً ، هل يحـين إياب ؟

لك في فؤادي صورة لم يمحها
عادي الزمان ، وصرفه الغلاب
لولا سكوتك لم أصدق ناعياً
ولقلت ، هذا ساحر كذاب
عودي تري ما ساقه صرف الردى
لي ، فانطوى أمل ، وضاع شباب
ضنت بك الدنيا عليَّ وطالما
غرَّ المسهّد برقها الخلاب

قد أرمى بالفضول وبالتعسف أيضاً — وأنا ناقد ولست بشاعر — إذا حللت هذه القصيدة التي اصطفاها شاعر من شعر شاعر يخاطب بها « أخت البدور وست الكل الصفية العزيزة » وقد كانت « أبهى منظراً وأجل حسناً » قبل موتها ، وكان لها في فؤاده صورة لم يمحها عادي الزمان وصروفه ، ولكنها ماتت وسكتت ، وهي الآن مدرجة بالكفن ، ولولا سكوتها لما صدق ناعيها ولقال انه ساحر كذاب ، لان النعاة سحارون كذابون ودجالون غالباً ، غير انه أيقن بالناعي هذه المرة وتأكد من موت « الصفية العزيزة » وقد رآها بأم عين رأسه ساكتة ، والسكوت وحده أبرز علامات الموت وأظهر أماراته ! وهو بعد ذلك يسألها مستفهما « هل يحين إياب » ويقول لها

عودي لتري ما ساقه الردى فطوى أملي وأضاع شبابي ، عودي لتري ذلك فقط لا غير!!!

كلا لا أريد التحليل ولا التفنيد ، لان فيهما ما يغضب الشعراء ، والشعراء يرون وحدهم في الشعر ، أو في هذا الكلام المقفى الذي يسمونه شعراً ، ما لا استطيع رؤيته انا ولا سواي من النقاد غير الشعراء

هذا النموذج البارع الذي انتقاه الشاعر عبد الله عفيفي ، وهو الاوفر إدراكا لخصائص الشعر ، والاكثر تذوقا لكل مادق وخفي من معانيه ، بهذا النموذج المختار من شعر الماحي يبرهن لنا على شاعرية صاحبه التي لايدركها الا شعراء « مباركون » من طراز عبد الله عفيفي « المبارك » وبهذه المناسبة اورد قصة سمعتها من مصدريها :

زار حليم دموس الشاعر اللبناني الاستاذ عباس محمود العقاد في بيته، واسمعه قصيدته التي نظمها في رثاء احمدشوقي بك ، ولما انتهى من تلاوتها سأله رأيه فيها فأجابه قائلا « ان شعراً كهذا خليق بشاعر كشوقي »

هل لي أن أستعير سخرية العقاد بدموس المادح وشوقي الممدوح ، لاسخر من شاعرية الشاعرين ، عفيفي العارض والماحي المعروض ؟